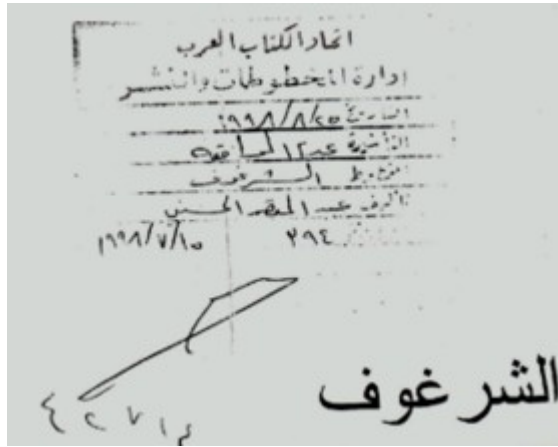


عبد المقصد الحسيني



كتاب الشرعوف

وتليه قصيدة سيرة الباشة

إلى أرمانج
وأريانا.

كتاب الشرفوف

(١)

"صوركا" بائعة الغبار، وأقمشة العراء
على أكوام الفخار، ورنين العزلة يسند الرجال أقدامهم.. ذكورهم
في مهيب الغيم.
يباب الطين المبعثر في أرض طمرها التعب، والنسيان
علقوا أواقهم الغبارية.
أيقظ الرجال المتقمصون سلالة المجد من ممالك مندثرة.
في شرشف الشرغوف.
أجراس معلقة فوق المقبرة. تعلق قرون فوق نتوءات الحجر.
الغبار يجرفه الصغار إلى أعراس منتوفة كريش،
يبولون عليها ليصنعوا منها أرواحاً، وقباباً، ومطارات.
توقظك البهجة فتري ملا "جلبي" يتأبط أبراج العزلة...
أسرى الشوق.
أسند ظهره لحائط مغمض العينين، يتلو أناشيده.
تلاشى القدر من أصابع الرجال،
ورموا نبالهم
أجسادهم في الزوايا.
فالأرض تدمدم، وأسراب الغيوم في عراك حميم.
والظلمة مدت بهجتها على السرير. وارتمى لسان اللبنة
كلسان ذبيحة مندلية نحو القلق.
يفرك بكلتا يديه عينيه الدبقتين: كولي... كولي...
أبعدي الصغار عن الدلف.
يغرس رأسه في الجحيم.
فنثرت أواني النحاس، والقصدير في الغرفة.
استحمت الأرض، ورمت محارمها..
فرمى "ملا جلبي" في العزلة منديله الأزرق:
— ما بك؟
وأنت مثل كومة الجمرات.
ستملأين الغدير.. بالماء يا كولي
ستشهد الولايات... والقصبات. والعالم انتفاضات... ضرائح
وسيجمل الشرغوف أعلامه لترفر في الظلام

استشقت "كولي" عباراته.
ما لنا بالشرغوف وأعلامه؟
لم ينم "رمكو" من السعال.
صرخ "ملا جليبي" في الفراغ،
وامسك الصدى.
غداً..

سيكبرون ويملؤون العالم بهجة
وسيرفرف اسمك في المعابد والمحطات.

(٢)

حل المساء فانتحر الضوء على منصة الغياب.
دبدب عمامته، وتلاشى وجهه النحاسي كالندى.
جول المتسربة في الحقول تمضغ الحنين.
العنزات تحك شفاهها في حائط "برشاني".
تفك الصرة لعنزاتها،
وتدبدب وجهها الخشبي على المصطبة.
الرجال يمسحون أعضاءهم بالأحجار ثم يمضون
في ترتيب مرآتهم على شكل سنام جمل.
النسوة الناحلات كالخفافيش يهرين حتى في الليل.
يا "خسرو"
ماتوا.. أسند السرج للبالغ.
انهض يا خسرو من الخجل المظمور في أصابعك..
واعبث بالجهات.
اغرورقت عيناه بالدموع.. حضن أحلامه...
أيقظ خسارته في الجهات إلى الغدير.
إلى الغدير...
فالتم بكاؤه مع البقعة العكرة.
بوصلة لليقين المفاجئ.
يجف الماء.. تجف معه البوصلة.
نحن مشردون كالشرغوف.
ماذا تصيد يا "خسرو"؟ القطا.. القبرات.
العزلة المترامية التي تركت أيقوناتها الفارغة.
يا أبا "تسرين": لا تقتل الشرغوف،
لا تعبث بالجهات.
بخطوات هادئة وروح فارغة صعد المحراب،
نثر العتمة مرايا.

(٣)

الشرغوف يا بهجة في مرايا الانكسار .
يا عمامة الجفاف المضموم في شفاه الدرك .
يرتبون الأيادي في القيد.. يقودهم كأسرى أمامه .
إنها الخسارة المؤلمة للزمن .
للمكان الأكثر عزلة من المقبرة .
الخريف ينزف أمجاده.. الأحصنة الرمادية تقضم أصيص الألفة .
الفوانيس الملبدة بالغيوم، والجدرى .
شقاء برجاله الملتمين بالخديجة،
احتضان الدفاء في الشقوق .
فترى الوقت كالحباحب تمضي إلى مئاها .
نهار يعوي في النافذة، رؤوس مشحونة بالصلوات .
شقاء بعواصفه.. بأبواقه في اقتحام الوقت .
إنه المكان . يا ملا جلبي . أين الشرغوف؟
يرد بلهجة حزينة: ينحتون الصخور بالطواويس والحجل .
هل تذهب؟
تدندن السماء بالبياض:
إنه الشرغوف
يا ابن الزانية
الشتاء يطمر البشر.. الغبار.. القلق .
الصوركيون أسندوا ظهورهم لحظيرة الكسل .
يمضغون العزلة،
يرددون: مات الشرغوف!
ينهض ملا جلبي كزوبعة من ألقه .
الليلة تسللوا إلى منعطف أكثر هدوءاً من وحشية أصابعكم..
من جحيم عزلتكم .
تسللوا إلى محراب الكيمياء .
لينثروا في العشاء الرثاء للبالغال.. الثلوج .
غيوم في سباق هزيل . يحن الوقت إلى مشجب .
ليعلق الأكفان .
يتلألاً "شيخك رفي" كالسراب الكهل الأكثر خداعاً من اليقين .
ينهق حماره من بعيد
يسند الصغار ظهورهم للحائط،
مضمومين تحت جلبابهم البارد، وجوهنا .
ما بك؟

يا عمو رفي؟
إلى الجهة الأخرى من الكسل.
المكان أكثر خسوفاً من القدر.
فنرى ملا جلبي ينثر النياشين ومعابد الضوء.
في تلال النسيان يردد:
الشرغوف لم يمت. تسللوا البارحة.
يتكاثرون.. يموتون.
فيرد "شيخك رفي": لا أعرف الشرغوف. في كيسبي فجل وجزر.
فينهق حماره على صوته المبجوح كطبل مشقوق.
الصغار وقد التموأ. بأياديهم الخرئوب.
كل من جهته يغرسها في مؤخرة الحمار.
يرفس.. ينهق.
يصيح، شيخك رفي: هس... هس
اللعة.. اللعة
اربط فم حمارك يا شيخك رفي
وإلا قطعت ذيل حمارك.
لا أعرف الشرغوف من أي فخذ.
ولا أعمامهم يا عمي جلبي.
ترتطم حواجبه بغيمة عينيه المتدليتين.
إنه الشرغوف.
أحفاد الجبل
يبنون الأمجاد، ينحتون الجهات
أيها الأحمق:
حمارك شؤم، وأنت تنبح أمام قديس الشرغوف.
رفس ميزانه وأحجاره،
برجله وصرخ:
انهض.
إنك كسلالة الحمار.
ودع البهجة في مكانها،
فالأرض للأقوياء.

(٤)

لملمت النسوة معاطف الحنين.. هديل الفراغ.
وطمروا تحت شالهن المزركش بفقاعات زرقاء
العراك.
وتدللت جدائلهن الملبدة بالحناء من وراء أعناقهن

كجذع عنزة.

أسراب الغرباء في هزيمة.

يردد ملا جليبي:

حتى النسوة كسرن أشجار الخجل

في هذا العراء ننقش الأمجاد.

نفتش عن الخاتم.

حتى طيورنا الحمقاء في هزائم، ثم تتحدر إلى الغدير

كصقر ذابت مخالبه. فرش عينه في دفئها.

الصغار يلمون الغبار تحت ظل الجدار،

ينحتون التماثيل.

كم من القلق صنعناه؟

كم قلق مات في أرواحنا؟

ننهش بأصابعنا الرماد.

إنها بداية الفراغ المنذلق من الخاصرة.

ملا جليبي:

هل رأيت أفعى

يهز كتفه؟

هل سقطت قدامتك في الغدير؟

دبذب جلسته على التراب.. نظر في عيوننا الملبدة بالدبق.

وضع عمامته البيضاء فوق الخرنوب.

إنه الشرغوف.. إنه الشرغوف.

الذي يشبهكم أيها العرارة.

جلبابكم المهترئ.. أرجلكم العارية...

وشفاهكم المتقلصة كخبز جاف.

سيكبر الشرغوف في هذا الكالأ المجهول...

في الظلمة

يحملون أبواقهم النحاسية.

يجف الغدير.

يموتون...

نضحك...

نثرثر...

نلف جلابينا نصنع منها سيوفاً ونعصرها بأسناننا،

نركض في الطرقات.

أين الولايم؟

أين الحبق؟

ملا جليبي يصرخ:

الشرغوف مثلنا.

نحن مثل الشرغوف نعصر العزلة،

لنمضغ بقايا الوقت.

(٥)

رأيت الشرغوف في عرصة عامودا

كأكوام برادة حديد.

العاموديون في رثاء أبدي يا أبا طاهر...

متكئون مثل مقبرة تكتظ أيديهم بالخيبات،

كالديكة ينقرون ظلامهم بالبكاء.

النسوة لم يزلن يرددن مواويل الرثاء.

الفرح على شفاههن ضامر.

الشرغوف مات في الغدير المجاور لعابدين الكئيبة.

السنونوة تنقر بمناقيرها زبد الماء،

قبعة الصيف.

يرسم على أصابعه خواتمه، ويتساقط من عينيه الرماد.

نثرثر كالخديعة تحت ظل أشجار اللوز.

الفخاخ تصيد الوقت.. القبرات.

فتصرخ "بلهي":

حتى في الظهيرة تسلقون اللوز،

وتفتتون الحبات الناعمة إلى أسرى.

نركض في الحقول كفراخ بنات آوى،

نحمي أجسادنا بأسوار الخرنوب.

العاموديون في رثاء أبدي

علقوا بيارق سوداء أعلى شفاههم.

دعهم الآن؛

لمواكبهم إلى المقبرة.

الشرغوف هنا يموت.

الشرغوف أصبح فحما

لعالم آخر.

(٦)

الفراخ... العويل.. الفخاخ. عربة أولاد "خاتوني" بدواليبها الخشبية

تجر موكب النسوة إلى مآتم.

مدوا بساطهم ومخداتهم من القش، وفرشوا فوق أكوام الخرنوب

الأسرة..

يرسمون للقلق سلالم. يصعدون متأبطين فوانيسهم.
هل يضيء الضوء الخافت أصابعهم الناحلة؟... رنين حناجرهم.
يندلق ملا جلبي بهدوء...

فتتدلى عناقيد الصمت.

أين ؟

ترتجف أصابعه كندف الثلج، ويتكئ على الباب.

في شفثيه كلام ،

ثم اتجه إلى الغدير.

يصرخ:

الهي

إنها بقعة مضيئة في أرواحنا.

في هذه العزلة المترامية القريية من عابدين

المدفونة بالصراخ.. والجماجم.. والانفصالات.

ألا ترون صورته؟

باسطاً يديه على التل.

يفكك أبجدية

الفراغ.

الهي

ارحم الشرغوف.

غداً، أعلق حجاباً على الغدير،

لتمر البواخر.. قوارب الصيد. لتعج هذه البقعة

بالصفارات... والعتالين.

ثم رفع يديه،

واندثر في الحقول مخلّفاً صوتاً طرياً.

وبعد ثوانٍ وقف أمام الغدير.

تتلاشى بؤبؤة عينيه إلى الأعلى

و الأسفل.

اتكأ على قدميه،

حرك بعود الماء.. اختنق في صدره الهواء.

انه الموت....

الشرغوف.. إلهي

يتمايل ذيله إلى بقعة أكثر فرحاً من الصبر.

ينهض،

يجلب الماء بعلبة،

لتعش...

لتعش...

سيكبر الشرغوف.

الشمس تلم ريشها من الأشجار.. الغبار.

تأبط الفانوس، واتجه إلى الحقول .

نثر هذيانه.. قلقه.

فرأى عربة أولاد خاتوني مترهلة.

حشروا مؤخرتها بالقش.

التف حولها النسوة.. الرجال:

ما بك ملا جلبي تنقل الماء بالنتك.

هل وقعت نقودك في الماء؟

سيموتون..

من؟

الشرغوف يا سمكو.

سقطت عيناه المليئتان بالذهول على ضفدعة

تصيد فريستها،

وتقفز في العتمة.

إنها تحرس قلعتها الموروثة.

ما بك ملا جلبي؟

كانت أذناه متدليتين كخيمة نحو الوديان.

الضفدعة يا سمكو

قتلت اليوم أكثر من خمس ضفادع.

نهض بقامته،

صرخ في وجه سمكو:

أيها الأحمق!

من يقتل الجنين؟

من يقتل الأحفاد؟

خرجوا تَوّاً من معركة الجفاف.. من الأسر.

ماتوا في انتفاضات.. ومعارك.. وخيبات.

تدلّت أعناقهم في المشانق،

صنعوا جبالا من النحاس.

تلالاً من الحنين

من أجلكم.

الجالسون.. الفانوس. قفزات الجراد.

أفواه النسوة الفارغة كقم بئر.. النجوم كسرب نمال.

دهشوا من كلام ملا جلبي،

ثم وقف بقامته المنطوية، وبرزت عظام كتفه من الأرق.
كأنه قائد جيش.
لن يموت الشرغوف
في هذا الغدير.
أغرقت النسوة الرجال مع هسهساتهم.
حمل الفانوس،
واتجه إلى التل..
الهي.. الشمال...
الشرغوف... بوصلة الغبار،
ثم أذن لصلاة العشاء.
كان نقيق الضفادع كسمفونية في هذه الليلة.
حمل الدف، وذابت أصابعه مع الجلد الرقيق
توالت التراتيل كزخات المطر.
على قامة العتمة.

(٧)

في الجهة الثانية صوت المؤذن،
عويل "منجي": البغال ماتت من العطش.
فتنهض صوركا من قباب الغبار.
القلق المعلق مثل راية متدلّية من حظيرة الوقت.
الصيف أرنب. فتصرخ "بلهي":
ابتعدوا عن النافذة يا شياطين.
عيون هزيلة،
مجد نحاسي في الجدار.
أعلق فساتين الغبار فوق الخرنوب.
يخرج ملا جلبي على أصواتنا،
ينحني. ليمسك بكومة، وينثرها في العراء.
نحن مثل الغبار،
نتطاير كالسراب.
أرض تجر فوانيسها نحو الرفوف.. تبكي كالأمهات،
إلى الغدير
يقرأ الفاتحة، ثم ينشد المرثي،
يحرك بعود الماء العكر.
مات الشرغوف.
جف الماء.
انه الموت.

يصعد التل... يتجه إلى القبلة المزينة بالهزائم
والحصبة.

الهي

مات الشرعوف.

تنمو الحصبة كالشوفان.

طعن فخاراً بالغبار فظهرت الجبال.. البغال.

مقابر الكلام هنا الأقوياء -الأجداد....

الأولياء - المرثي،

ثم علق في كتف الجبل تواريخ،

ومضى نحو أفق،

حدوده الخرنوب، وأصيص الوقت.

(٨)

فصل هائج مثل الشوق عامر باليقين والنفاعات.

عامودا مفروشة بالفيضان والانكسار.

مسح الظلمة من أصابعه.

أسند جسده للوهم،

ما أنت إلا بحيرة من الهديان في فضاء.

مالت العتمة.

انحدر بدراجته السوداء نحو "توالا زراعي".

غرست أصابعي بجاكيتته،

وضممت جهاتي.. أطرافي مثل أرنب كالدخان.

(٩)

نفض عن قامته المنحنية العوسج.. خزائن النور.

معاطف النسيان.

رف القطا كغيوم في الحقول.

همس ملا جليبي في أذن حزننيكو:

لم لا تصيد القطا؟

ارتطمت على شفاهه الخامدة ضحكة أشبه ببالونٍ

أرخی رأسه بين قدميه ، فسال لعابه،

اسقوه شايًا.

يمد حزننيكو يديه المكتنظتين بالخجل.

يصرخ ملا جليبي:

اسقوه شايًا حلواً ليرى الضوء،

ليخفف هذا الكرش المتهدل أمامه.

يضحك، يقهقه على نهيق حمير أولاد خاتوني.

اسقوه شايًا حلواً.

يا أولاد...

سأله قطو:

— أين تخبئ أمك الخبز؟

يرد، في السقف.

لنسرُق الخبز، فراخ العصافير من شقوق المنازل.

يضحك حزنيكو من كلام قطو.

ونصيد القطا حين نحشر بطوننا بالخبز.

حملة على كتفيه الناعمتين كجوزة من رصاص.

مد حزنيكو أصابعه إلى السلة.

خذ أكثر من رغيف.

خذ حصة الشرغوف،

وبغال أولاد خاتوني،

وكلب سليمو.

ونندلق إلى ظل الأكواخ.

تحت جلبابنا الخبز.

يصرخ ملا جلي:

ماذا تفعلون؟

لا تقتلوا الشرغوف.

نفتت الخبز للشرغوف يا عم.

ثم يمضي إلى التل ويرفع يديه إلى السماء:

مات الشرغوف.

مات الرجال.

أمطر غيثاً من معطفك الرمادي.

ارحم الشرغوف من الهلاك.

يا رب الغربة.

ثم انحنى لظله،

واندثر في السراب.

(١٠)

أفاق العراء كما أفاقَت القرية على مناجم الحزن.

اقتادهم الدرك إلى مخفر "شورك"،

أيديهم مقيدة.

أين أنت يا سلسلة عابدين؟

تعالت قهقهة سليمو من قبعاتهم وبورايدهم.

يتعالى صراخه كزوبعة، وعيناه مليئتان بالدخان.

دلهم يا فارس على الخاتم.
أين خبأت الصورة المزينة بشريط أحمر؟
بتكاييا الحجل.. ويا فطاط المودعين.
تدحرج الكلام من شفتيه الذابلتين.
لا أعرف.
يعلو الشرطي خيزرانه إلى رجليه المربوطتين.
لا أعرف!!
إلا الفخاخ.
بعد يومين يجر فارس جسده المتعب. ورجليه المتورمتين
على البيدر.
صرخ :
ابن الكلب
سلو،
أخبر الدرك يا مسطو.
تسلق مسطو كقطعة سطوح المنازل بين عويل النسوة،
وبكائهن. أطلق من مسدسه طلقات.
في المدخنة ثلاثى الصدى.
أقسم مسطو: إنه لم ينزل من السطوح،
حتى ينثر دمه بيده.
التفتت النسوة على الباب كأنهن على نعش.
ينقرن كدجاج النهار.
نتوسل إليك؛
اترك هذا الحيوان.
على صراخهم وعويلهم.
خرج ملا جلي متأبطاً حزمة الوقت،
سلة الغبار.
حين رآه مسطو
اندلق من فوق السطوح،
أمسك ملا جلي بيده،
ونثر البخور بين يديه،
ثم هزه من كتفيه.
الصورة المطمورة في سلوفان المجد.
جنوده مثلك.
ثم نهض إلى الغدير المحاط بالدرك.
بواريدهم معلقة.

ماذا يفعلون هؤلاء الأوغاد؟
خرج إلى التل، ورفع يديه إلى السماء
مات الدفاع من أصابعنا.
إلهي..
مات الشرغوف.
حتى الشرغوف مهدد بالبواريدي مثل "فارس".
انهض من البوصلة.
يلفون على أصابعهم العتمة،
يلوحون بنشيد.
جف الفرح. اندلق الدرك بخجل، ومالت قبعاتهم .
انه الحنين.
إلى مجد.
إلى دار الخلود.

(١١)

هبط إلى الغدير، سال من عينيه النحاس،
الشقوق العميقة، التتك، الأحجار.
وقد التف حول حجرة الشرغوف.
كأنهم في وداع أخير.
أغض عينيه،
استغفر .
أين المجد؟
في طرف الغدير بقعة خضراء هجرتها الضفادع ، والجراد.
فنظر إلى ساعته الجيبية،
ثم اتجه إلى "ياور".
نفض عن يديه الغبار
صاح:
ياور...
ياور...
فأسند جسده الهزيل لمخدة الريش
ما بك؟
يا ملا جلبي:
جف الغدير.
الأجداد بينون الانتفاضات وراء جبال عابدين.
البارحة كانت أعناقهم متدلّية في الجبال.
نحن نسقط كالريش في هذه البقعة المنسية.

نفض ياور يديه من العراق .
بقامته الطويلة يتمايل كخييط في الفراغ.
نحن نحضن الهزائم.
يا عم ملا جلبي،
حتى أولاد خاتوني بعراكمهم مع البغال طمروا الغدير.
يقتلون الشرغوف،
يملاؤون البيدر بالقش.
يجف الوقت.
ثم خرجا معا متأبطين حزمة أوراق
تحت ظل الجدار.
قرأ ملا جلبي النشرة،
فرأى في عيون ياور صدى البكاء،
أرخبيلات الموت،
ثم مضيا معاً إلى الغدير .
كان بزوغ القمر بين نتوءات الطين
كسولة
مثل جنازة.

(١٢)

قبل أن يسند الخريف خواتمه للشتاء.
والشتاء نياشينه المزورة للعربات.
أسندت بهية كتفها المكتظتين كمخدة قش
إلى مرايا الانتظار.
كان جسدها كتل. أما عيناها الناعمتان المزينتان
بطابور الكحل الوردية مضمومة تحت لحاف الغبار.
الريح تغازل شعرها الكسول.
فتعلو أيقونات العونسة في جدائلها المخربشة.
إنه الوقت.
يا بهية.
تدق الريح الباب، تضحك بهدوء،
تسند خواتمها للريح فلا أصيص ضوء في العراء،
سوى نسر معلق في طرف القرية.
بهية: تزوجني حزننيكو هذا الدب.
ألا ترين كرشه،
وعينه الصغيرتين كحبة الباميا.
ماذا أفعل به؟

بليد مثل الوقت .
رخو مثل إسفنج .
تدق الريح الباب .
فأسندت خديها المتقمصين إلى لمبة النسيان .
المعلق في الجدار .
سيتزوج ملا جلبي
مرة تالثة .
كان صوت زوجته مثل زوبعة تخرج من سلوفان الخجل
لن أبقى هنا .
ارحم هؤلاء العراة .
دوختهم بالشرغوف .
وتتزوج؟
كان ملا جلبي كومة رماد يبعثر بعصاه الصغيرة التراب .
ورأسه منطو بين فخذيه .
اترك السيرة .
يا . .
لن أترك .
سأقول لياور
لعمشة
لنرحل .
خرجت بهية تنثر في البيدر قلقها
تراقب الهدهد ينقر الفراغ كأمير .
فأسندت روحها لليقين، لباب الخديعة .
فضمت يديها اليابستين مثل الخبيات .

(١٣)

حلت العتمة على أصابع الدفاء، وتسلسل الوقت لسراديب السيول .
تخبئ مخالبتها الصغيرة .
شردت المناجد في تراتيل بانقلاب في حركة الريح .
وأسند أقواله وأمواله إلى سرب الغربان .
الذين مددوا خجلهم .. حدادهم فوق زبد الحقول .
ونفخوا في أبواقهم .
لينهض القنفذ في مشيتك .
قبل شروق الندى .
إنه حيوان الظلمة، وطقوس العزلة .
ذاب الوقت من أصابع ملا جلبي .

مالت الشمس إلى منتصف النهار .
اقترب من الباب صافح أصيص الشمس .
صرخ . أفاق الضيوف الذين أتوا من معركة .
أسندوا أسماءهم تحت المخدة .
فنظر في عيونهم المنطفئة، ورمى في الغرفة معطفه .
اقترب من النافذة ثم اندلق إلى الغدير .
عيناه حباحب في النهار ، فارتعش جسده كغصن .
ارتدى على الغبار
أين الشرغوف؟!
أين الشرغوف؟!
في الجهة المنكسرة ضفدعة متأبطة الجفاف .
على ظهرها مناديل ترفرف .
فأسندت جسدها على أرجلها الأمامية .
صفق ملا جلبي بكلتا يديه،
صافحه
في العتمة نهض .
في العتمة نقش المجد، تكون الشهادة .
من دار المتعة خرجت الحيوانات – أرباب النسيان – الشرغوف
القوميات نحو الجبال، الانتفاضات تنطوي .
يموت الرجال .
نظر بحسرة في هذا الحيوان الأليف،
ثم عانقه .
مضى نحو الأفق .
الضوء الذي بأيدينا خجول .
مضى ملا جلبي .
في البرية نحو هزيمة أخرى،
أو مدن أكثر يباباً من قلبه .
طار الضفدع، وحط بين يديه .
فلم يصدق الرجال، لفوا على خواصرهم الجبال .
مضوا في ترتيب الكلام،
ملهاة الروح .

(١٤)

حملت النسوة مناجلهن، فوطاة الحنين .
أعينهن تكتظ بالخدوش والدبق .
حقول العدس المترامية بأطراف الغدير وقد جفت بقع منها .

عيشاني لفت خاصرتها باليشمر .
تقول لبلهي:
أسرعي لنحصد أماننا قبل المغيب .
بلهي متكئة على بعضها البعض كقوقعة .
لا زال في جيب المغيب، ضوء، رنين ياعيشاني
الصغار بجلابيبهم الملوثة يركضون وراء الجراد وفراخ القبرات .
يصرخ ملا جلبي: لا تدوسوا العدس
ولا تنتثروا الأكوام .
ابتعدوا.. عش العصافير بين سنابل القمح .
وقامات العوسج .
فيقطع "قطو" حزمة من العدس وينثرها في الطريق .
فيصرخ فيهم ملا جلبي بغضب:
ابتعدوا يا شياطين
صرخت عيشاني: ملا.. ملا.. الدرك.. الدرك
تعلو فوق رؤوسهم فوهة البواريد ك رأس الأفعى .
مضى إلى القرية بخطوات مسرعة،
ولف المهرب بين الحصير وأسنده إلى حائط المسجد .
في باحة الجامع .
أين الغريب؟
فرد ملا جلبي:
انه لم ير أحداً
كانت عيناه حزينتين .
و"قطو" ينثر حبات العدس في الطرقات،
والدرك يبحثون عن المهرب .
ثم اندلق إلى الحقل .
فرأى قطو ابن الزانية:
أقلع عينيك الصغيرتين،
أبعثرها كالغبار أمام الصغار،
أو أطعمها للشرغوف .

(١٥)

امتد سرب القطا في الأفق،
فخرج أولاد "خاتوني" ينثرون فخاخهم
في الحقول،
يغرسون مرافقهم في التراب .
يصرخ "سعدو":

تمدد.. انحن..
رأسك الكبير ابن الكلب..
سرب القطا يخاف من رأسك.
مهدي يتأبط سلسلة فخاخ في الجهة الشرقية
تلمع نوابضها،
ينثرفي الحقل حبات قمح.
من أين أتيت بالقمح..؟
يهز رأسه..
اليوم نصيد القطا.
سيكون عشاؤنا لحماً طرياً.
ماذا تفعل فوق التل يا "بافي رشك"..
نفتش عن الكمأ... عن الخرز...
كانت بيده أحجار صغيرة مدوّرة.
اطرد سرب القطا يا بافي رشك
إذا حطّ هنا.
ثم يندلف متأبطاً كومةً من الكمأ،
يعلو فوق رأسه دخان سيجارته.

(١٦)

النهار يلم عزلته وموتاه من رماح الغيوم.
وأبراجه من مشاجب.
إنه المكان الأكثر قلقاً من أصابعي،
ونحولاً من قامة الشوق.
يا ملا جليبي.
انتابته نوبة سعال من أعماقه المتورمة
كحبة الفاصولياء المنقوعة.
اتجه إلى أولاد خاتوني
صاح بهم:
العربة
العربة
فخرج طوفو:
أهلا يا عم.
أيتها السلاسل المربوطة بأقفال الريح.
امض نحو الشمال.
مضى نحو غزاليك الأكثر عزلة من المقبرة
أماه انثري البكاء مثل سرب البراغيث.

في الجدران التي سهرنا فيها ليالٍ .
في ملهاة الدفع المدفونة في الخطوات .

غزاليك بقبورها المنثورة

في عباءة الغبار .

فتركوا الهدهد يقرأ الفاتحة .

العابرون من الجهات

كسالى .

العربة تميل ورفرفة عجالاتها الخشبية .

تنهش رؤوسنا الغريبة .

تنهش الغبار الذي نحمله في صدورنا ،

أو الذي تركناه معلقاً بأغصان شجرة اللوز .

لم يبق في الجدران إلا أصيص خطوات كئيبة .

ونثر غزلان عينيه الخجولتين من الانتظار .

أنت نائمة أيتها الغيوم في سراديب التقويم .

ثم دون المرثية في ورقة .

أيها الرجال

المبعثرون في النسيان

:ترسمون للجهات نياشين ومنازل .

أيقظ الألفة من الانتحار .

طار الشرغوف .

حين حط أقدامه على بيادرها .

صاح خلفي شريفكا

لنذهب إلى هضبة موزان ننثر فوقها الحنين .

ونقرأ الفاتحة على الأولياء .

التفت إليه :

أذهب إلى تل معروف .

رأيت في المنام أحلاماً مزعجة .

ارتجفت أصابعه الذابلة كعنقود عنب .

صاح يا قوم، يا الله

رد ملا جلبي

أيها الطائر كأنك عنقاء .

كفاك شروداً في مهب الريح .

كفاك مديحاً .

ألا ترى الصغار وقد مدوا أعناقهم

الطويلة إلى الخبز؟

الشرغوف مات في الغدير .
الانتفاضات تعم بلاد الأتراك .
الأتراك أقوياء يا ملا جلبي لقد زرعو الألغام
كحقل قمح .
فنظر في عينيه :
أيها الأحمق هؤلاء يقطعون الأعناق ، والأرواح .
شردوا الأجداد .
ثم اندلق من شرفته إلى غرفته ،
علق جاكته في مسمار .
الصباح بهدوئه يغمر أصابعه صلاة اليقين .
رأى في الطريق سرب الضيوف يحملون نعشاً
همهم :
لم يأت حزنيكو .
لم يأت الشرغوف .
همس خلفي شريفكا في أذن ملا جلبي :
رأيت في المنام نل معروف كالغمام .
وأفعى تأكل كنتفي اليسرى .
دبدب على كتفه رزقك مضموم في أقفال .
وترزق بطفلة سمها على اسم أمك .
ثم تأبط عصاه ،
وتلاشت صورته مع عويله من القرية .
كانت أمي تسند للريح الجهات
بأصابع فخارية فتحت أدرج الهزيمة
ونثرتها أمام ملا جلبي .
على باب الكوخ علقت حجاباً
لملمت فخاره من الانتظار .

(١٧)

نهار كئيب لملم حقايبه وأغانيه ورجاله الكسالى .
من خياشيم الجرا ،
مضى مسرعاً .
غيم التف حوله .
أطفال صندلهم الغبار ، العوسج ، وأعينهم الرمادية .
صفقوا – وضربوا التتك بالأخشاب .
مد خلفي شريفكا رأسه من النافذة الدائرية .
متدلياً باقة لحيته السوداء ،

ورأسه المدبب كيقطين.
صرخ فيهم
مد يده إلى عضوه
ثم خرج إلى البيدر، ورفع جلبابه إلى عنقه.
ارتدى الصغار على الطريق.
وهو يفرك عضوه بحجر أسود.
نهار يلم أعلامه المنكسرة. ويلون خواتمه.
غزاليك طعنة في السراب المندلق.
تفك عزلتها تحت لحف الفراغ.
في كيسك
البصل
عزلة الجماع.
دمدم.. يا قيوم.
كانت أذنا الحمار متدليتين.
عرف أن الحر
أقوى من البارحة
فشرد في براهينه
في عزلته.

(١٨)

أمسكت برقبته النحيفة ومددته على رجليها.
تناولت من عقدة شالها شفرة.
ولم تزل نتوءات الدم طرية.
أيقظت منابع الدم.
تخرج هادئة ساخنة كلحن حزين.
لتطير الأسرى — لأشرار — الدم الفاسد.
اغرسي الشفرة الناعمة في الأعماق.
ليخرج الشرغوف من الجفاف .
إلهي
ليكف البكاء فوق الدرج المؤدي لحدائق المجد.
لتغرس أمني شفراتها العتيقة في الروح.
ليندلق الموت من المعطف.
ليكف الغرباء في فك البوصلة.
ليقق خلفي شريفكا من غيبوبة على ضريح،
ويرفرف كالسنونو في فضائه.
اطردي من جلباب الصغير عشائر الجن.

واقضي على خاتم اليقين.
اطردي المساء العابث بالخداع.
على الدرج صندلة وجوارب.
يأتي الغرباء لمديح الدرج.
أماه تركضين في أدراج الريح.
لتلغي هذا الحنين بالحناء
وتخبئنها في الأسرة.

(١٩)

نفض من يديه الغبار، عرف العتمة.
وأرامل " غزاليك "
صرخ: ه نا الجنة يا ملا جلبي.
ثم داعب لحيته بأصابعه،
أسند قبعته ورأى ثريات الضوء أول مرة.
أولاد المواخير لا يأتون إلى غزاليك.
الفتيات يفوح من أصابعهن الحبق.
وأردافهن كتلال من الريش.
هنا الجنة، ثم لملم جلبابه ووضع بين أسنانه.
لم ينته العرس اليوم
يا ملا جلبي.
ثم سقط بجسده النحيل كسنبلة شعير
على الطرف الآخر.
أسعفه وهو يردد في المشفى:
لم ينته العرس اليوم.
مدن قادمة من أفق الدهول.
أنت عابر تنفض عن لحيتك أكوام الدبق،
براغيث غزاليك.
منارات الشوق.
امض بحصانك الكسول في السراب.
لنمض إلى مدن أكثر حزناً من المرايا.
بماذا تفكر؟
بالغدير.
بالشرغوف يا صوفي خلفي شريفكا.
أحن إلى فضاء العزلة.. صوركا.
اجلب الشرغوف إلى بيروت.
ضحك خلفي شريفكا: ليشتغلوا في الميناء.

لا أيها البليد.
الطائر الغريب الأطوار.
لا تعرف
إلا تل معروف
وساللم الجحيم
وهسهسة ذكرك
سأجلب الشرغوف، أفلتهم في البحر
ليغنوا
ليرفعوا المناديل.
فرد خلفي شريفكا:
لن ارجع إلى غزاليك
لن أحضن قبعات الكسل
لنتزوج "هدلة" المختار الذي يداعب
خصيته من الانتظار.
سأصبح شرغوفاً
وامدح هؤلاء النسوة الناعمات كرنين النحل.

(٢٠)

السلام المؤدية للجحيم مسحتها الريح من الخطوات.
الغدير طمره الحويض.
الضوء المعلق بكنف التل يضيء الممر إلى الجبل.
إلى بيت "غزاليك".
نظر في قامة النهار المنطوية كمنجل.
قرأ الفاتحة.
نظر في عابدين الكئيبة.
القطار تعلق فوقه واحات الدخان.
هؤلاء الأوغاد!
قتلوا الرجال.. رموا بالجثث في العراء،
نهبوا قطعان الماشية.
تحيا الريح. ومد يده إلى تقويمه الجيبي،
خط بقلمه تاريخ جفاف الغدير.
ثم تدرج نحو التل خامد العينين كالمناجذ،
متدللية أكامم جاكيته.
كأنها بلا يد.
شيخو
لم لا تطرد البهائم من جسديك؟

فجلسا منطوين، همس قليلاً وتناول فخاراً.
مررها بقوة فوق الغبار.
حتى الفخار ينكسر يا شيخو!
غزاليك ملفوفة بخرائط الانكسار.
حتى الأحلام نراها أشباحاً.
علق السؤال وصعد الغرفة،
انحنى رأسه في كتاب سيرة الأنبياء.
أسند أطرافه للريح.
لينقر خلوتك ديكاً أسود.
مسح من النافذة بقايا الندى، أسماء الغرباء،
أصيص كلام،
واندثار الخديعة
في صندوق الغياب.

(٢١)

بدراجته السوداء وجوقة حنينه،
وبييقينه، صوركا المبينة على رفوف الغبار.
ليراث الغدير.
الشرغوف أعمام أولاد خاتوني.
لينثر قلقه على أبواب علقت بأقفالها الصداً
الوقت معلق بالبوصلة.
جسدها مترهل كبطة خرجت تواءً من الماء.
وزيد عينها طري تلفه أسوار الغياب.
ثم دنا برأسه،
اتجه إلى الغدير.
لم ير سوى الغبار.. أكوام الأحجار،
مشاعل منطفئة كالفبور.
ما أنت؟
إلا غيمة في سماء.
وقت منهوب من الجدار.
الظهيرة ثعلب.
رمى في الحقول ما في يده من براري الأسئلة.
مضى إلى بيت ياور
في الطريق مر ببيت بهية منفوشة الخدين.
جدائلها المخربشة كعبدان الخرنوب.
صاح:

ألم تدق الريح الباب،
حتى
كانت ضحكاتها فاترة.
منذ سنين لم تر عيناها الكحل الوردى.
أحنى رأسه ومضى لبيت ياور،
نظر في صورته المعلقة.
في الجهة الأخرى.
أغمض عينيه. قرأ الفاتحة.
لم نزل نعارك الصمت.
ثم قترت من زوجته ناولها حجاباً مثلث
الشكل.
خبئها تحت عباءة الريح
يا عمشة.

(٢٢)

عمت العتمة ستائر الألفة معابد الغياب.
أندثر في الحقول معاطف الخجل.
تبعثر الرماد فوق سطوح المنازل.
امتطى فوزي حمارة ومد يده لمزمارة،
وهلهل لأغنامه وتلاشت وراءها سحب الغبار،
ومضى إلى تل موزان المغروس بالحرمل وقبور الأجداد.
مد خلفي شريفكا رأسه من النافذة.
وقد مالت الشمس قليلاً.
علق صدريته في المسمار،
نظر إلى الصورة المعلقة في الجدار.
قدمم بالهذيان.. وتعالى ترانتيه.
صرخت هدلة ولملمت النسوة عليها.
خلفي شريفكا أغرق!
أغرق!
تمايلت غزالي مكحلة الرموش كباقة نعناع
مدبية الحواجب كقوس قزح.
ارتطمت خذاها المتورمتان بأموج الشوق
عند ظل الجدار دببت الشهوة في مشيتها.
عيناها الدافئتان لا تشبع المدى.
لا تشبع موكب الكون.
أقترب منها شيخو بقامته القصيرة،

وشحم منخاره المتدلي.
فانغرق في دفء عينيها ونسي قطعانه.
يا وقتي المنهوب من الجذور.
يا قدراً مزيناً بالعتمة، بالعجول المسنة.
انهضي بجسدك المفعم بالأوسمة واليمام.
انهضي من برج العونسة.
إلى معابد قلبي.
إلى حقول العراك ليفتت الظلمة إلى شموع.
تضئ الممر إلى المجد.
شيخو بن أوسمان ككيس حنطة يدق أبواب الرخام،
يقفز كجراد في أرض الخلوة،
يلم ضرائح جسده.
يا وقتي الأزلي في عذابات غزاليك،
ينثر في منعطفاتها القصيرة لون الحداد.
انهض من العراء المندلِق الذي لا يشبه العراء.
من قامة الظل تنثر الخرز على جلباب الرسل الكسالي.
ولينحن هذا الصدى على أصابعك كخاتم من الندى.
شيخو يقترب من حظيرة الملل،
وينثر القلق على فخذ الرماد.
يصيح عمي: ملا جلبي عكف في مملكة النسيان...
الأرامل.
أحفاد الهدهد.
وهو ينقش العراء.
الشرغوف طار.
ثم فك أسوار عزلته.
عيناه مد بوغتان بالصبر.
شيخو.. أيها البليد أنزع الستائر من الشفاه.
فالأرض واسعة أمام خطواتك.
لتلم الكلام.
من أفواه الزرازير.

(٢٣)

ذاب الصقيع. انفردت الشمس مع حاشيته
في هذا الخلاء.
دبت الحركة في العربات تجر العدس.. القش.
ولفت النسوة خواصرهن بالقنّب.

لملم أكوام الخرنوب.. الحرمل.
أيقظ هؤلاء الموتى.. الرسل القادمين من نزييف الرماد.
بعثروا المخطوطة المبهورة بخاتم.
أيقظ غزاليك وجهاتها المنطفئة من أكوأخها المطمورة
من أقفاص الجنادب.
تفرق الرجال العزل من الأبواق والطبول.
إلى معاطف قامشلو،
أو عبروا الحدود إلى عابدين.
ليحملوا على أكتافهم الحنين،
أو عبروا دجلة لإلقاء نظرة الوداع على المخطوطة.
انفردت الأرامل في مشيتهن إلى الحقول.
رموا معاطفهن كالأفعى تارة، فخرن التاريخ،
وذاب من أصابعهن رنين الشهوة.. مفاتيح شجر الرمان.
خرج ملا جلبي من صومعته وقد غزت الشعيرات البيض لحيته،
نظر في الأكوأخ المهجورة
فتشرد أياماً، وليال حافلة بالمواعظ والضيوف.
ثم لملم الفخار المبعثر في البيدر،
وأسنده لموكب الخداع.
تلم الفخار من هذا الخلاء المنكسر مثل جناح طير.
يأتي الغرباء.
لينقبوا في العراء.
ثم تلا شى الوقت مثل أرنب من يديه.
أيقظ خلفي شريفكا من المقبرة،
ليهرول في الطرقات.
متدلياً بين رجليه بنطاله المنفوخ.
يصرخ ثل معروف:

ق — ي — و — م

ثم اندثر مع الزمن.
أيقظي أيتها الأسراب الخجولة هذا الحنين المعلق تارة أخرى
في أعراس النهب.
فالغرباء يلمون معاطفهم.
لتنهض غزاليك.. كسرها الزمن إلى يمامة مذبوحة.

(٢٤)

انبهار الوقت كرمح في القلب.
رد ملا جلبي.

الضيوف أرهقهم الجفاف فعلقوا أحزانهم.
نزع الجلباب الرمادي، انفرد في الخلوة.
نسخ المخطوطة على نسختين.
تسلل أدراج الهزيمة.
عامودا منفردة في عزلتها البيضاء.
وباقات الدموع، لم تزل طرية في عيون الأمهات.
تناول الجريدة فقرأ العناوين:
قبل أيام حط الشرغوف على عابدين،
فضحك،
سقط طاقم أسنانه الاصطناعية أمامه.
تنبأت منذ سنين سيطير الشرغوف.
ثم بزغت أسنانه
كبحج تدحرج في الشرود،
مشط لحيته:
سأنتزوج،
وأنشد....
أرسل عليهم طيراً كالشرغوف.
أرهمم بالخسوف والقنابل والبروق.
اجعلهم رماداً.
في وادي النسيان.
طار الشرغوف إلى عواصم ومدن.
وممالك.
طارت من بين لحيته الفراشات، بنات آوى
الجربوع، رف القطا.
أصبح الشرغوف وزيراً، جنراً.
يملؤون العالم أحلاماً.
ثم تعالت ضحكة أفاقت ياور من مرقده.
ليردد مع ملا جلبي:
طار الشرغوف.
ثم اندثر ياور إلى مملكته الأزلية،
وملا جلبي ظل بعراكه يفتت الكون إلى معابد،
وكنائس.
ثم يعيد تكوين الجزيرة على شكل نزييف،
ليرمم حقباً من الألفة

في كتاب الذهول بحاشيته أخبار الشرغوف
للإمام الميدي عطار د.

سيرة الباشق

ملا جليبي

همومه تضم المعمورة،

وتنثرها كالخداع على الأبراج.

يرفرف الباشق على كتفك

من الفرح.

كأنك الباشق الأزلي في المحنة.

تلم بأصابع عزلة المساء،

ثم تمضي.

تجر الهواء إلى مجلسك،

تداعب الغزلان النائمة بفرح أمام قدميك.

يأتيك الحاقدون فترسم على وجوههم غيمة من الصبر.

يأتيك الناهبون من أعمدتهم المنكسرة.

الأشياء.

الحيوانات.

الطغاة.

العجر.

إنك الباشق الأزلي على ضريح الهواء.

تفتت المهرجان إلى وداع.

في كوكب يرفرف بجناح من حبق.

أو حلم في يديك.

تأبطت الشرغوف وبالأخرى النسخة المختومة.

بحروف متكئة على الغبار.

انثر في الهباب أو على طرف الذبيحة مدارات الشوق.

وانهض ملفوفاً بعلم تحت إبطك.

انك الباشق الأزلي

في بهجة الضيوف تنثر في أصابعهم الحداد.

تركت في الرفوف أصيص الأحلام.

باشق في هذه الفوضى المفعمة بالخianات،

والرسل القابعون في سراديب الظل.

ينقرون الألفة بالرصاص.
نهضت من العراء الملتف حول قامتك الهزيلة.
صافحت الهواء.
في يديك الأسرى ينقشون أغانيهم.
والعجر ينفخون أبواقهم القصبية.
تركت لهم الفراغ،
وصندلة المطر.
فانهض من مقامك المزخرف بالياقوت،
ومدائح الموتى.
انه العراك.
إنك الباشق الأزلي الكائن المنفرد في الغناء.
الرسول المفاجئ في المحنة الباقية.
جلبوك من الحدود لتقرأ التلقين على العجر.
عمامتهم تليق بهذا المجهول.
جلبوك لترسم الحدود في يديه،
وعلى شفاهه علامة الخلود.
انهم ملالي الخداع.
رسل قابعون في جلباب الهزيمة.
انك الباشق الأزلي.
في صلاة الترميم تعلق النشيد .
متأبطاً سلالم – أدراج أجبالا
وقباب الزيد.
تلم من الفراغ مواويل.
تكسر أمامهم أنهاراً من الحبق.
يلتمون حولك،
تمسح من أجفانهم المضمومة الدبق.
متأبطاً أعياداً ومواكب من النور.
تتدحرج من الأعلى إلى الأرض.
الأرض بين يديك عود بخور.
متأبطاً الحجل المطمور في الذاكرة.
فيأتي المشهد على عجل.
يأتي البسطاء إلى ستائر المشهد.
انك الباشق الأزلي.
في زمن الوهم وعمامات الفراغ.
تلم من الخريف ميلاد الحيض.

لنتثره في أكف الغائبين.
لا يتعبك أسرى البوصلة.
منحدرًا كالأزل في حضور الأولياء.
ترسم المنفى على ضريح الشهيد.
في ملهاة المقبرة.
انك الباشق الأزلي.
في بلاد طمروا أصابعك، علقوا فانوس العزلة.
مروراً بالأجداد القابعين كغيمة في برزخ الصيف،
بهضبة موزان.
بأحفاد الملل ينسجون من الفراغ مواويل،
ومن خرز نسائم قلائد للرحمة.
مروراً بقبر "جكر خوين" في شرف الياقوت.
رفرفت عيناه فوق السور المزخرف بدموع "هكاري".
رافعاً الشوق إلى تكايا الملالي،
إلى "ستوكهولم" ليشرب النبيذ،
ويختار عشيقته،
ثم يدمدم لمثواه من جديد.
انك الباشق الأزلي.
متأبطاً "كرنكو" وفوانيس صورك المنطفئة.
رمت الغدير بأدراج ليصعد الشرغوف الغيم.
انكسر الدرج تدحرجت من معطفك عابدين.
تركت الأناشيد في أكف الموتى.
أيقظت القدر من الأفواه.
أيقظت "علو" ليقف وليجر بغاله من الحقول.
أيقظت "محو" برنينه وشاربيه المندثرين
في جماع القصدير.
نثرت بيده الخريف. فصرخ حتى بان بلعومه المتسخ
من السعال.
انك الباشق الأزلي.
مولع بالشيطان، الكائن المجهول يرفرف بين يديك.
تسند في معركة؛ مولع بالشيطان رافعاً يديه
في بهجة الحياة.
تناصره في خلوته، تلفه بستائر الألفة.
مولع بأشياء جميلة وأسماء تداعب قعر كفك.
مولع بصوفية الجزيري.

تحضن بصدرك البهاء .
تتشد للخراب في رحاب الكسل المفروش على الأصابع .
إنك الباشق الأزلي .
تتحرر من الأعماق نحو أهرامات البكاء
الهاديء كغيمة .
أسندت العمامة للجواري . انفردت مع الدف .
أيقظت العتمة من جلبابك ،
رميت غزاليك وفخارها في الرفوف .
نهضت من الوقت مباركاً .
حضنت الحقول مسحت الخطوات من الأسوار .
انفردت مع الله ،
فرشت بين يديه البكاء .
تدللت الحواجب خجولة .
إنك الباشق الأزلي .
مروراً بالضرائح وقياب الهواء المرتمية في
يديك .
ودعتها بيقين الملائكة ،
همست ليدي: عرفت ملهاة الخداع .
ودعتها في عتمة الليل .
أنهار من أصابعك شبق الموت .
إنك الباشق الأزلي .
خرجت من منعطف إلى رثاء آخر .
وصرخت كرضيع ،
ألا يتركني الرب
من المرثي .
لتدفن هذا الكوكب باحتضان الزوبعة .
تفك العزلة من خلاخل الهواء .
حاضناً بهجة الغبار .
تنهض من قلق الحاضرين إلى مثنوى الكلام .
ترتب للضوء عربة ،
تضحك النجوم عابدين من قلقك .
تتكئ على أسوار المحبة
في محراب الكلام تعصر الهواء فتخرج الفقاعات
على شكل ثريات .
يتقمص الحاضرون من مدار ،

من رفرقة الألفة.
في صالة الفرح تفرش مقابر النهب.
يقترب منك الوداع.
تقترب من الوداع،
تصافح الملائكة. يأتيك الحنين.
لترتب الأحجار – الأمجاد.
تأتيك الملائكة أسراباً لتطبق السور النحاس
على جسده المنضوي بعريه وأصيص عطر.
إنك الباشق الأزلي .
تلم صهيل الوقت.
صهيل الرنين من قامة العبيث.
من مواكب القرويين يجرون مساءاتهم،
لندفن هذا الملك في المنعطف الخجول.
ترمم الغبار مثل جنازة.
تودع هذا الحنين مرة أخرى.
تلم أوطان النحاس ضوءاً يضيء لك الأزل،
فتترك القصدير يسيل على الأمراء.
نقشوا وجوههم بالوشم،
لينفخوا في أبواقهم .
الوجع المتدلي من أعناق.
في فسحة الرماد منتظراً شرغوفاً
يفك عزلته أكثر من فضاء.
مودعاً هذا الخراب .
الكوكب المرتب فوق الخزائن،
من يجره نحو هزيمة الصباح، مطعوناً بالكيمياء.
وما انكسرت الروح من الألفة؟.
أحببت هذا الفراغ الجليل.
أيقظت سمكو من غفوته ليحمل بيده
النسخة المختومة.
ليكيف سمكو من تراتيله فوق الراية.
لينهض موكب المشيعين ويرسم في الأفق مشهده.
في المساء تلم أصابعك تنثرها مع الضيوف.
في الوداع الأخير.
في البكاء قبل الأخير.
عرفت الخداع من الخداع في هذا البهاء الممدد.

رمت المجد بشموع.
أيقظت حراس الحشر من منفاهم ،
الموتى من عويلهم .
الرنين المعلق فوق التل
تركت الموكب يسير كالغبار
في صوامع الخداع .

١١ / ٩ / ١٩٩٧

صدر للشاعر:

١- المهارش.

٢- مآتم النسيان

٣- حارس الهواء

* عبد المقصد الحسيني: شاعر كردي، يكتب بالعربية، مقيم في عامودا - سوريا.
* حقوق الطبع والنشر محفوظة للشاعر ولل موقع.